بلعباس لـــــــــزرق

الأستاذ : لزرق بلعباس
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة زيان عاشور الجلفة

اجتماعية الرواية الجزائرية مقاربة سيسيولوجية :

تقديـــم :

رغم المساحة التي أخذتها المناهج الكلاسيكية كالواقعية والرومانسية والرمزية والشكلانية والجدل الذي رافق هذه المناهج إلى انها لم تستطع ان تقفل المنهج الاجتماعي ذلك لان الفن لأجل الفن لا يمكن بأي حال ان يأخذ مكان الفن الذي يتعلق أساسا بالمجتمع من أجل ذلك كان المنهج الاجتماعي أكثر المناهج الأدبية صمودا في وجه النقد وعبث الزمن لأنه يرى الرواية من رواية معالجتها لقضايا الشعوب وهموم المجتمعات ومحاولة البحث عن الحلول الممكنة لهذه المشاكل ولعل هذا الاهتمام بالمجتمع من طرف الرواية يبرز بشكل كبير أهمية الجانب الاجتماعي في بناء دور الرواية ، ولأن جئنا إلى الرواية الجزائرية نجدها مرآة عاكسة بحق لتجاذبات المجتمع الجزائري في أحقاب زمنية مختلفة حد التناقض من الرواية أثناء الاستعمار ونظرتها للمجتمع الجزائري غلى رواية الاستقلال ونظراتها للمجتمع ذاته .

1- **ماهية الرواية :** إن الحديث عن مفهوم الرواية حديث طويل يجعلنا نبتعد عن مفهوم كلمة رواية من الجانب اللغوي وننتجه رأسا إلى مفهوم الرواية من الجانب الاصطلاحي .

فالرواية احد الأجناس الأدبية حديث الظهور مثلها مثل القصة والمسرح وشعر الحر وغيرها بيد أن هذا التعريف لا يحدد مفهوم الرواية تحديدا دقيقا ولذلك أشار أحد الدارسين المحددين قائلا " والحق أننا بدون خجل ولا تردد نبادر إلى الرد عن السؤال بعدم القدرة عن الإجابة " .

إذن فمفهوم الرواية صعب التحديد وعويص التعريف كما قال أيضا باختين" إن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطورها الدائم" وعلى هذا فماهية الرواية الحديث تبدو غامضة ومطاطية غير ان العناصر الأساسية والمكونات الجوهرية للرواية لا تخفى على أحد فكل رواية لا بد أن تعتمد على :

- الشخصيات المحركة للعمل الروائي .
- الحيز الزماني والمكاني الذي تجري فيه أحداث الرواية .
- الحوار القائم بين الشخصيات .
- التصميم العام للرواية (الأحداث ، العقدة ...) .

وعموما من أهم التعريفات الشمولية للرواية نجد تعريف الأستاذ فتحي إبراهيم في كتابه معجم المصطلحات الأدبية حيث يقول معرفا الرواية .

الرواية العربية :

قد تعتبر الرواية فن أدبي وافد إلى الأدب العربي استقاه العرب من الغرب كما قال أحدهم" لا يختلف اثنان في أن الرواية العربية نشأة في العصر الحديث فنا مقتبسا من الغرب أو متأثرا به تأثرا شديدا إذن فقد يكون العرب تلقفوا الرواية من الأدب الغربي مثلما ما تلقفوا المذاهب الأدبية الغربية وتأثروا بها ، غير ان الرواية العربية وسمة باسمه خاصة بما ميزتها عن الرواية الغربية فقد مسكت المحيط العربي وخصوصيته ولعل رواية زين لصاحبها محمد حسين هيكل وعنوانها الأصلي " مناظر وأخلاق ريفية بقلم فلاح مصري ، تعد أول الروايات العربية بل وعدة أول رواية واقعية عربية في الأدب العربي الحديث مع ن الكثير من الباحثين لا يعدون رواية هيكل او رواية ، عربية بل هناك روايات اسبق منها ظهورا ، ومهما يكن فليس هذا ديننا ، وإنما الأكثر وجوبا هو أن نبين أهمية الجانب الاجتماعي في رواية هيكل ، فقد اتخذت هذه الرواية من الريف المصري البسيط مسرحا لأحداثها واتخذت من الفلاحين البسطاء وأحداثهم محركا لها وبالتالي عكست بحق الجانب الاجتماعي في ريف مصر الذي سيسود الفقر والحرمان والبساطة فكان الجانب الاجتماعي الأهم في نقد هذه الرواية هي" سرد قصص نثري يصور الشخصيات الفردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد

لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى نشا مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية ..." .

الروايـــــة الغربية :

لا شك أن ظهور الرواية الغربية ارتبط ارتباطا وثيقا بالطبقة البرجوازية والتي مالت إلى تصوير الواقع والمغامرات الفردية لأصحاب هذه الطبقة فنتج هذا النوع من الرواية حيث قال أحد الدارسين " تميز الأدب القصصي منذ القديم بسيطرة أدب الطبقة الحاكمة " .

وعلى هذا الأساس فالرواية الغربية تبدأ في أوربا في العصر الحديث عاكسة لحياة الطبقة البرجوازية وحاملة لمغامرات الفرد في هذه الطبقة او لنقل مرآة عاكسة للجهد الاجتماعي في هذه الطبقة وبالتالي يظهر أمامنا من جديد للمنهج الاجتماعي من أهمية ، حيث في الإرهاصات الأولى للرواية الغربية .

إن الحديث عن الرواية الغربية يقودنا إلى الحديث عن أول رواية والتي قد تكون رواية " دونكشوت" لصاحبها سارفنتس" أول رواية غربية غير أن الحكم المطلق في ذلك يعوزنا .

الرواية الجزائرية والمنهج الاجتماعي مقارنة سيسيولوجية :

إن حديثا عن الرواية الجزائرية نقصد به الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية فهي مناط بحثنا هنا .

والحديث عن الرواية الجزائرية لا يمكن ان يكون معزولا عن الحديث عن الواقع السياسي والاجتماعي الذي عاشته الجزائر في العصر الحديث والرواية تتأثر أيما تأثر بالواقع والظروف المحيطة بها ولذلك نجد أمامنا فترتين مختلفتين ولكل منهما خصوصيتها وظروف وهاتان الفترتان هما :

- فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر .
- فترة الاستقلال .

أ/- الرواية الجزائرية أثناء الاستعمار الفرنسي :

إن أي استعمار هو في الحقيقة حروب ودمار وتخريب وعلى الجهة الأخرى مقاومة ونضال وجهاد فبين هذه الثنائية تتوقع الأحداث وتأخذ معالمها لذلك نج الأحداث الرواية تتراوح بين هذين الطرفين (مظاهر الدمار ومظاهر المقاومة) ولو عدنا إلى بواكير الرواية في الجزائر أثناء الاستعمار في الجزائر فإننا نج الرواية غادة أم القرى ، لرضا حوحو ، هي أول رواية جزائرية بامتياز فمن هو رضا حوحو ؟

ولد الشهيد الأديب أحمد رضا حوحو ببلدة سيدي عقبة عام 1911م وبها حفظ القرآن الكريم ودرس اللغة العربية واللغة الفرنسية .

ثم انتقل إلى مدينة سكيكدة فدرس بها مدة أربع سنوات ليعود إلى بلدته الأصلية سيدي عقبة ويشتغل موظفا في البريد وفي عام 1934م هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة فدرس هناك وتحصل على شهادة عليا واشتغل بالتدريس في عام 1946م عاد أحمد رضا حوحو إلى الجزائر واستقبله المقام في قسنطينة .

إذن فأحمد رضا حوحو أديب جزائري عاش ويلات الاستعمار مع انه هاجر تاركا بلاده وروايته " غادة أم القرى " رواية جزائرية عالج فيها واقع المرآة الجزائرية وحياتها داخل الأسرة المحافظة والمتمسكة بالقيم فما "غادة" إلا فتاة جزائرية تعيش داخل المجتمع الجزائري وتتأثر بها وتؤثر فيه فالجانب الاجتماعي بارز في صناعة أحداث هذه الرواية .

ب/ - الرواية الجزائرية بعد الاستقلال:

تأتي مرحلة البناء والتشييد ويتناسى الناس أحداث الاستعمار المؤلمة إلا ما بقي منها قصد التأريخ لذلك فإن الرواية الجزائرية بعد الاستقلال في غالبها كانت مؤرخة للثورة أو الثورات الشعبية الجزائرية ومن ذلك رواية الدكتور واسين الأعرج والذي عنونها صاحبها برواية الأمير والتي تعالج ثورة الأمير عبد القادر ومقاومته إلى الاستعمار الفرنسي .

ولان الرواية بنت زمانها فقد ظهرت الروايات التي تعالج ما يعرف بالعشرية السوداء التي عاشتها الجزائر في نهاية القرن العشرين ومن ذلك رواية أحمد

مستغانمي " ذاكرة الجسد " وإن كان في هذه الرواية خرج بين تاريخ ثورة التحرير وتاريخ للعشرية السوداء .

المصادر والمراجع :

1- مرتاض عبد المالك : الرواية جنسا أدبيا ، مجلة الأقلام ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العدد 12 سنة 1986 م ، ص 124 .

2- بختين ميخائيل ، الملحمة والرواية ، ترجمة جمال شحيذ ، الفكر العربي ، بيروت ، 1982 ، ص 66.

3- فتحي إبراهيم : معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين ، المتحدين ، جمهورية التونسية 1982م ، ص 176 .

4- عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(1870-1938) ، دار المعارف مصر ، الطبعة 04 ، دون تاريخ ، ص 193.

5- بطرس خلاف : الرواية العربية بين النقد والإيديولوجية ، أعمال ملتقى الرواية العربية الحديثة بالمغرب ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1981 ،ص 17.

6- المرجع نفسه .

7- مفقودة صالح : نشأة الرواية العربية في الجزائر ، التأسيس والتأجيل ، مجلة المخبر : البحث في اللغة والأدب ،ص 17.